كبسولة المذهب المالكي (ذ. عبد الهادي البياض)

1-المصادر:

*- أبو الفضل عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك.

*- أبو الوليد محمد بن رشد الجد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة.

- أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد. /- ابن فرحون اليعمري، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب.

*- الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب.

2-المراجع:

- داود (محمد)، الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين./- الجراري (عباس)، وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ.

*- عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب./ *- كتاب جماعي، الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حافظي علوي حسن.

أولا-التعريف بالإمام مالك ومذهبه وكتابه:

1-التعريف بالإمام مالك: هو مالك بن أنس بن مالك، ولد سنة 93هـ، بالمدينة، نشأ بها في بيت فقه وحديث، كان أبوه فقيها، وكان عماه: ربيع ونافع محدثين، سمع من أعلام المدينة، وأنشأ صرح منهج وسط بين مدرسة الحديث بالحجاز ومدرسة الرأي بالعراق، كان يتحرى الدقة في علمه، ويخضع آراءه للأخذ والرد يقول: "كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم". وتوفي سنة 179هـ. (عرض صورة لقبر الإمام مالك أو للمسجد الذي كان يعقد فيه دروسه/ لا أتوفر عليها)

2-التعريف بالمذهب المالكي: المذهب في اصطلاح الفقهاء: "حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الاجتهادية"، ونسبته إلى مالك يتعلق"بما اختص به من الأحكام" كما تندرج فيه آراء أعلام المالكية المنضبطة لقواعده التي بنى عليها مذهبه".(الوثيقة رقم: 1-صورة واجهة كتاب ترتيب المدارك)

3-التعريف بالموطأ: هو كتاب حديث وفقه، و"الموطأ" أصح كتاب بعد القرآن الكريم، ومعناه الممهد، وقال مالك في سبب تسميته: "عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته: الموطأ. وقد اشتهر من رواياته؛ رواية يحيى الليثي (ت234هـ) ، باعتبارها آخر ما استقر عليه رأي الإمام مالك. حيث سمعها منه في رحلته الأولى الموافقة لسنة وفاته دون واسطة إلا ثلاثة أبواب من باب الاعتكاف. (الوثيقة رقم: 2-صورة واجهة كتاب موطا يحيى الليثي)

ثانيا- يتجلى تعلق المغاربة بالمدينة وامامها في:

- **حب المغاربة لمدينة رسول الله باعتبارها دار الهجرة، ومأوى الصحابة والتابعين، ومهد التشريع.**
- **موافقة طباع المغاربة لطباع الحجازيين في البساطة وعدم التكلف، المنبثقين من سلامة الفطرة التي تحتضنها في العادة مجالات البداوة.**
- **ارتباط المغاربة بطريقة "أهل الحجاز لأنهم كانوا أكثر رواية للحديث من أهل العراق". كما جذبهم عمل أهل المدينة، لأنه صار عند الإمام مالك من أصول الأدلة الشرعية.**
- **تاثر الطلبة المغاربة بأخلاق الإمام مالك وشخصيته المطبوعة بالبساطة والتواضع، ونبذه الجدال العقيم، وقال مرة لأسد بن الفرات (ت 213هـ) الذي كان يهوى المناظرة والحجاج: "حسبك يا مغربي إن أحببت الرأي فعليك بالعراق".**

ثالثا-شذرات من عناية الإمام مالك بالطلبة المغاربين والتنويه بفطنتهم وتفوقهم.

كان الإمام مالك على وعي تام بما يتهدد الصقع الغربي من دار الاسلام بزحف النحل الخارجية، فوجد في فطنة المغاربين وحرصهم على رواية الموطأ، فرصة لتشكيل طليعة نواة سنية لنشر فقه المدينة الوسطي بأقطارهم، فكان يوصي كل عازم على مغادرة المدينة بقوله: "اتق الله وانشر ما سمعت". وسنورد على سبيل المثال نماذج للطلبة المغاربين الذين حظوا بعنايته: (الوثيقة رقم: 2 "مكرر"-صورة واجهة كتاب موطا يحيى الليثي)

- ✓ كان مالك يحتفي بقدوم عبد الله بن فروخ (ت 176ه) إلى المدينة، وقال له مرة: "لو تقدم قدومك لعلمت به ولأتيتك، وجعل مالك لا ترد عليه مسألة، إلا قال: أجب يا أبا محمد، (...) ثم التفت مالك إلى أصحابه فقال: هذا فقيه المغرب".
- ✓ -كان عبد الله بن غانم الرعيني (ت190ه)، كلما غشي مجلس الإمام مالك إلا أفسح إليه و"أقعده إلى جانبه، وسأله عن أخبار المغرب"، وكعادة الأقران غبطه زملاؤه، وقالوا: "شغله المغربي عنا".
- ✓ كان عبد الله بن أبي حسان اليحصبي(ت229ه) حظيا عند الإمام مالك، حتى حركت حظوته مشاعر الغيرة بين زملائه، فأقسم أحدهم قائلا: "فوالله ما رأيت مالكا أميل إلى أحد منه إليه".

رابعا-محطات تطور المذهب المالكي ببلاد المغرب: السياق والامتدادات

1- إمارة نكور: توارث أبناء وأحفاد (العبد الصالح) صالح بن منصور الحكم في ظل ظروف مشحونة بالصراعات السياسية والاستقطابات المذهبية، وكانوا سنة مالكيين، وفي هذا أورد ابن الخطيب أن الأمير صالح بن سعيد (ت262ه) كان فقيها مالكيا، كما سلك عبيد الله الشيعي مع الأمير سعيد بن صالح (ت305ه) سياسة الترهيب والترغيب لحمله على ترك المذهب المالكي واعتناق المذهب الشيعي، فخيب سعيد آماله بجواب في ابيات قادحة في نحلة الشيعة. واستمر النكوريون في الدفاع عن المذهب المالكي، بشهادة البكري: "ولم يزل آل صالح في السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك بن أنس"، (الوثيقة رقم: 3-صورة واجهة كتاب إمارة نكور)

2-وفي إمارة بني مدرار الصفرية بسجلماسة: وبحكم موقعها في تجارة العبور بين الشمال والجنوب، استقطبت عناصر وافدة عربية وأندلسية، وفي هذا الصدد لما كشف أمير قرطبة الحكم بن هشام (180-206ه) مؤامرة ثورة أهل الربض المدعومين من فقهاء المالكية، أجلاهم إلى المغرب الأقصى سنة 202ه/818م، وناهز عددهم "ثمانية آلاف بيت". فحظيت فاس وسجلماسة بنسبة معتبرة منهم فاسهموا في توسيع قاعدة المذهب المالكي. وفي سياق الصراع المحتدم بين العبيديين الشيعة وبين أمراء بني مدرار الصفرية، وصل إلى سدة الحكم الأمير محمد بن الفتح بن ميمون(ت 349ه) فقطع دعوة الخوارج، ونبذ دعوة الشيعة، و تبني المذهب المالكي "وتسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله".(الوثيقة رقم: 4-صورة واجهة كتاب سجلماسة وإقليمها)

3-في دولة الشرفاء الأدارسة، تتجلى القرائن المؤكدة لتبني الأدارسة للمذهب المالكي في:

تبنى الأدارسة المذهب المالكي اعترافا بالموقف التاريخي الذي تبناه الإمام مالك حين أفتى "بخلع أبي جعفر عبد الله المنصور العباسي، وبيعته لمحمد النفس الزكية". كذلك الخطبة الشهيرة التي ندب فيها المولى إدريس الأول المغاربة إلى التمسك بالكتاب والسنة، وجسد ذلك عمليا بمحاربة خوارج برغواطة. وسار المولى إدريس الثاني على نهجه. (الوثيقة رقم: 5 صورة ضريح المولى إدريس الأول)

-احتضان فاس الإدريسية لوفود القيروانيين المالكيين الذين واجهوا مذهب العباسيين بإفريقية، وتمسكوا بالمذهب المالكي، وامتحنوا في سبيل مناهضة مسألة خلق القرآن. كما استقبلت فاس المهجرين من قرطبة بعد فشل ثورة المالكية على الأمير الحكم بن هشام. واستخلص منهم عبد الله بن مالك الأنصاري الذي تولى إبرام عقد شراء المولى إدريس الثاني للعقار الذي بنيت على ترابه قاعدة حكمه مدينة فاس. وبالمثل عين منهم على قضاء عاصمته فاس عامر بن محمد القيسي. (الوثيقة رقم: 6صورة ضريح المولى إدريس الثاني)

4-تأسيس مدرسة دراس المالكية خلال القرن 4هـ/10م: (الوثيقة رقم: 7 صورة مسجد دراس بن اسماعيل بحومة مصمودة بعدوة الأندلس بفاس)

إذا كان جبر الله بن القاسم الفاسي هو من أدخل علم مالك إلى فاس. فإن دراس بن اسماعيل(ت357هـ) الحافظ لكتاب الموطأ،هو من جلب كتاب محمد بن المواز إلى المغرب. وأول من أخل مدونة سحنون إلى فاس، وكثر تلاميذه بأقطار الغرب الاسلامي وأخذت تتشكل مدرسة دراس المالكية، بحيث تتلمذ عليه في تونس أبو الحسن علي القابسي، وابن أبي زيد القيرواني المعروف بمالك الصغير وأخذا عنه رواية كتاب ابن المواز. (الوثيقة رقم: 8 صورة علاف كتاب آمحمد بن ابراهيم بن المواز/ لم أجده)

5-صحوة المذهب المالكي بمغرب القرن5هـ وترسيمه في العهد المرابطي:

أسهم تلاميذ دراس بن اسماعيل من بعده في حمل مشعل مدرسته المالكية بتونس. كما أبليا في تكوين أعلام المالكية المغاربة الذين كان لهم شأن في صحوة المالكية بمغرب القرن 5هـ ، منهم عبد الرحيم بن احمد الكتامي الشهير بابن العجوز(ت413هـ)، الذي استكمل تكوينه الفقهي في المذهب على يد ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة تلميذ دراس، دون أن نغفل دور كل من فقيه مدينة فاس ومفتيها عثمان بن مالك. وكذا أبو عبد الله بن خطاب (ت425هـ) صاحب كرسي المدونة بمدينة سبتة. (الوثيقة رقم: 9 صورة واجهة كتاب المدونة الكبرى)

وسيعرف المذهب المالكي نقلة في تطوره مع أبي عمران موسى الغفجومي الفاسي(ت430هـ)، نزيل القيروان وأشهر أعلام المالكية بها. والذي صقل مداركه الفقهية في المذهب على يد تلميذ دراس أبو الحسن علي القابسي، إذ يرجع الفضل إلى أبي عمران الفاسي في تكوين نخبة من أعلام المذهب المغاربة نذكر منهم وجاج بن زلو اللمطي، الذي أنشأ مدرسة متخصصة في فقه المذهب عرفت بـ "دار المرابطين"، ومنها تخرج الزعيم الروحي للملثمين عبد الله بن ياسين الجزولي الذي كان له دور في ترسيخ المذهب المالكي بين قبائل صنهاجة الصحراء. ومن ثم أصبح المذهب المالكي رافدا أساسيا للدولة المرابطية، وعنوان وحدتها، ولهذا أصدر تاشفين بن علي قرارا بترسيم المذهب في رسالة مؤرخة سنة 495هـ، ومما جاء فيها، "إن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدا على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه".

(الوثيقة رقم: 10 صورة لضريح عبد الله بن ياسين الجزولي)

6- صيانة المد الشعبي للمذهب المالكي بالمغرب الموحدي:

ناهض خلفاء الموحدون الأوائل المتعصبين لابن تومرت علوم الفروع السائدة بين علماء الصف الثاني من المالكيين المقلدين، وحملوا الناس على مذهب الظاهر حتى "انقطع علم الفروع [في عهد يعقوب المنصور]، وخافه الفقهاء، وامر بإحراق كتب المذهب".

فكان رد فعل علماء المالكية: أن قاوموا المضايقات الموحدية باساليب سلمية قائمة على توزيع الأدوار، منها: توسيع حلقات تدريس الفقه المالكي، واعتماده في القضاء والفتوى، فيما انبرى آخرون للتأليف في مزايا المذهب المالكي، فضلا عن محاولات إقناع الخلفاء بوسطية المذهب وتمسك المغاربة به، مما أثمر تنكر المأمون والرشيد لأفكار ابن تومرت، ورفضا الاعتقاد في مهديته وعصمتة.

وبعد سقوط دولة الموحدين، طالب أعلام المالكية كمرجعية علمية مساندة لشرعية المرينيين، باعتماد أحكام المذهب المالكي في القضاء والحسبة والفتيا، ولما تسلم الأمير يعقوب بن عبد الحق زمام الأمر سنة 656هـ، أمر القضاة بترك مذهب الظاهرية، والرجوع إلى مذهب الإمام مالك.

من حصيلة هذا التراكم ترسخت جذور المالكية في المغرب، وأصبح مذهب إمام دار الهجرة في عهد الأشراف السعديين يشكل إلى جانب النسب الشريف والصلاح صمام تماسك المجتمع، وبالمثل غدا المذهب المالكي في ظل سيادة الشرفاء العلويين مذهب الدولة والمجتمع، ومعيارا لوحدة الأمة المغربية المتكافلة، مصونا من عيث النحل وشر الفتن بإمارة المؤمنين، وضوابط البيعة

الشرعية، ووحدة العقيدة الأشعرية، وطريقة الجنيد السالك المرضية، ولعل هذا ما ذكر به الراحل الحسن الثاني عموم الأمة المغربية يوما حين قال: "نريد مغربا في أخلاقه وفي تصرفاته جسدا واحدا موحدا، تجمعه اللغة والدين ووحدة المذهب المالكي".

(مقتطف من خطاب الملك الحسن2 /أوالملك محمد السادس/ لا أتوفر عليه)

الوثائق المرفقة مع كبسولة المذهب المالكي

(الوثيقة رقم: 1- واجهة كتاب ترتيب المدارك)

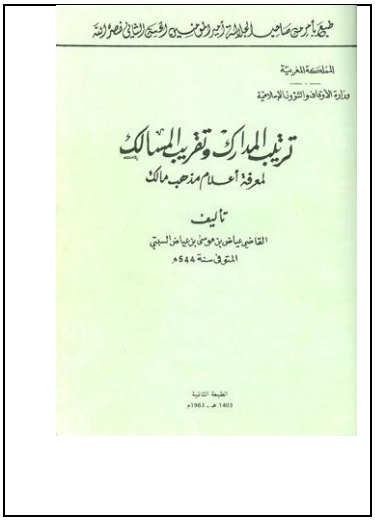

(الوثيقة رقم: 2- واجهة كتاب موطا يحيى الليثي)

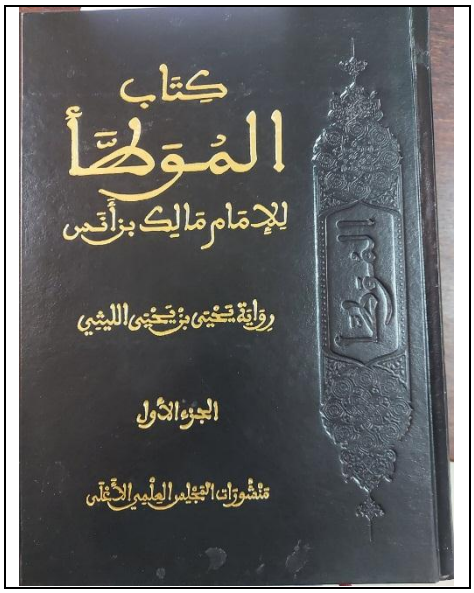

(الوثيقة رقم: 3- واجهة كتاب إمارة نكور)

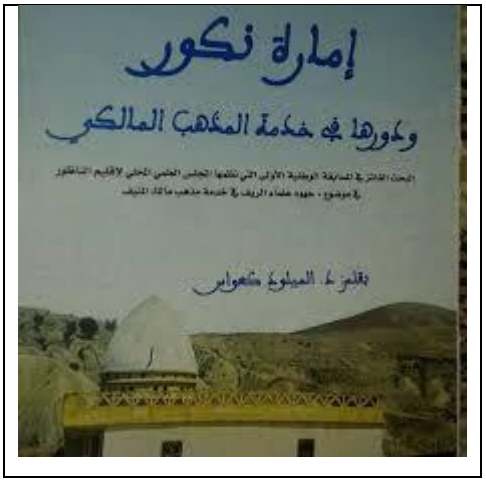

(الوثيقة رقم: 4- واجهة كتاب سجلماسة وإقليمها)

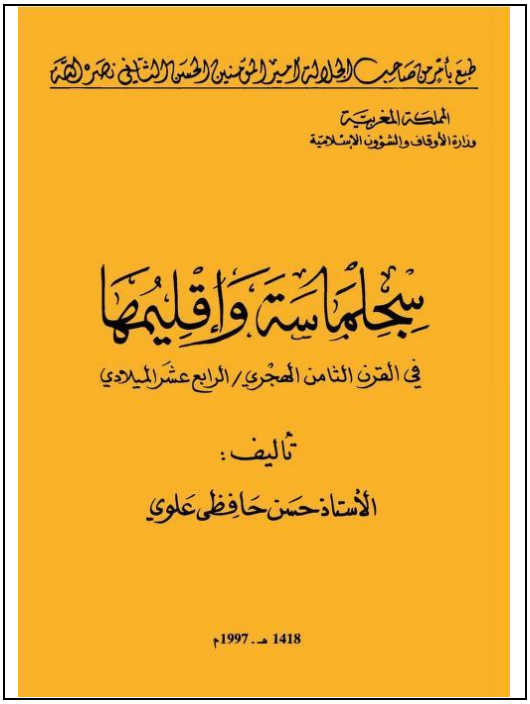

(الوثيقة رقم: 5 صورة ضريح المولى إدريس الأول)

(الوثيقة رقم: 6 صورة ضريح المولى إدريس الثاني)

(الوثيقة رقم: 7 مسجد دراس بن اسماعيل بحومة مصمودة بعدوة الأندلس بفاس)

(الوثيقة رقم: 8 صورة علاف كتاب محمد بن ابراهيم بن المواز/ لم أجده)

(الوثيقة رقم: 9 صورة واجهة كتاب المدونة الكبرى)

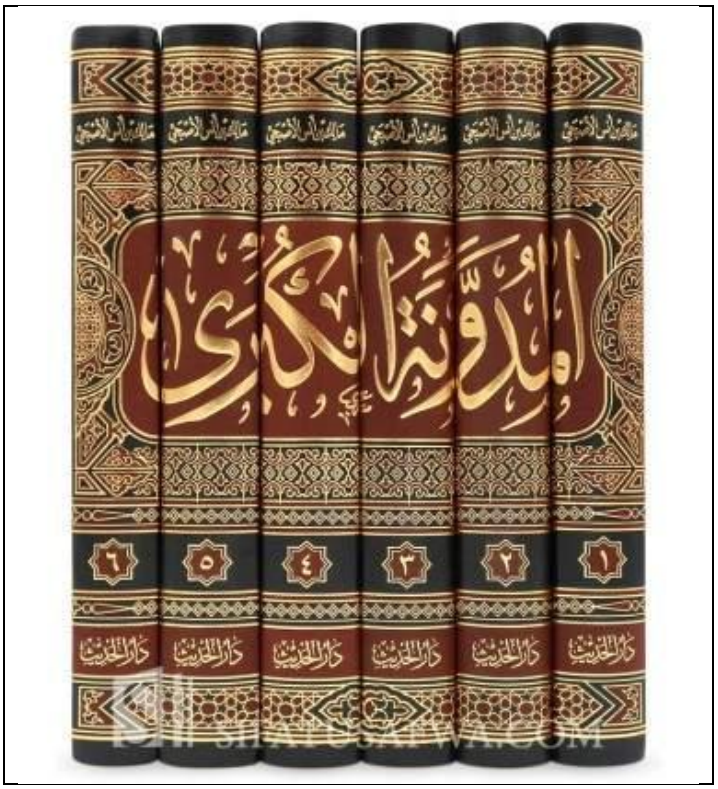

(الوثيقة رقم: 10 صورة لضريح عبد الله بن ياسين الجزولي)